تقرير

شوقي عشقوتي
lionbars@hotmail.com

نقطة ساخنة على خارطة الصين والولايات المتحدة تايوان وهاجس السيناريو الأوكراني

زيارة رئيسة الكونغرس الاميركي نانسي بيلوسي الى العاصمة التايوانية تايبيه، كانت الشرارة التي اشعلت الصراع الاميركي ـ الصيني في آسيا ونقلته الى مستويات جديدة. هذه الزيارة التي حصلت على الرغم من تحذيرات بكين واعقبتها تحركات ومناورات عسكرية صينية حول تايوان، حاكت غزوا بريا محتملا على طريقة الغزو الروسي لاوكرانيا

زيارة بيلوسي الى تايوان عدّت نقطة لمصلحة الولايات المتحدة التي قررت عدم الرضوخ للتهديدات الصينية التي كانت قد هددت باستخدام ما يلزم من الادوات لمنعها، اذ رفضت ما سمته "قعقعة السيوف" الصينية غير الضرورية، بحسب منسق الاتصالات الاستراتيجي في مجلس الامن القومي جون كيربي. ويرى مراقبون ان حصول الزيارة يعد اشارة ايجابية، ويعزز من صدقية الولايات المتحدة تجاه التزام حماية حلفائها، ليس فقط تايوان، بل دول عدة في المنطقة، من بينها اليابان. وقال احد المحللين اليابانيين: "اذا لم تذهب الى تايوان، فسوف ينظر الى هذا في الدوائر السياسية اليابانية على ان الولايات المتحدة تقول شيئا وتفعل شيئا آخر... وكمؤشر على ان الولايات المتحدة ليست ملتزمة بشدة الدفاع عن تايوان او اليابان".

في المقابل، وصفت وزارة الخارجية الصينية الزيارة بانها "بلطجة" اميركية، محذرة من ان النهاية لن تكون جيدة للاميركيين، ومؤكدة ان الصين لن ترضخ ابدا لمثل هذه التحركات في تايوان. اضافت ان الولايات المتحدة باتت اكبر تهديد للسلام في العالم، في ترداد لموقف روسي مماثل. ونبهت الخارجية الصينية الى ان الاميركيين يلعبون بالنار في قضية تايوان، وبأن الزيارة تمثل "انتهاكا خطيرا لمبدأ الصين الواحدة، ولها تأثير شديد على الاساس السياسي لعلاقتنا مع واشنطن"، مضيفة ان الزيارة "استفزاز سياسي، ورد فعلنا سيكون مبررا".

كما اعتبرت روسيا ان زيارة بيلوسي ستشكل استفزازا صرفا. وشدد الكرملين على تضامن روسيا المطلق مع الصين، متهما الولايات المتحدة بزعزعة استقرار العالم من خلال احداث توترات في شأن تايوان. وكانت المتحدثة باسم الخارجية الروسية ماريا زاخاروفا، قد اعلنت عبر تطبيق "تلغرام"، ان "واشنطن تزعزع العالم. لم يحل اي نزاع في العقود الاخيرة، بل تم التسبب في نزاعات كثيرة".

اثر ذلك، تركزت الانظار على بكين لمراقبة رد الفعل المقبل. ويرى محللون ان الرئيس الصيني لجأ الى بعض التحركات العسكرية تعبيرا عن معارضة بكين لهذه الزيارة، انما مع تجنب الانجرار الى مواجهة متقلبة، من شأنها ان تزعزع الاسواق وتضر الاقتصاد. سيكون هناك رد فعل قوي للغاية بالتأكيد، لكنه لن يخرج عن نطاق السيطرة. وبينما تعد غالبية المحللين خطر نشوب نزاع مسلح ضئيل، كشف مسؤولون اميركيون انهم يتأهبون لاستعراض قوة محتمل من الجيش الصيني، يقوم مثلا على اطلاق صواريخ في مضيق تايوان او خروقات جوية واسعة النطاق في محيط الجزيرة. فقد تمركزت 4 سفن حربية اميركية، بينها حاملة طائرات، في المياه شرق تايوان في عمليات انتشار اعتيادية.

التوترات بين واشنطن وبكين كانت قد تزايدت منذ ان تبنى الرئيس الاميركي السابق دونالد ترامب سياسة حازمة لتعزيز العلاقات مع تايوان. استمر ذلك في عهد الرئيس الحالي جو بايدن، مع ارسال واشنطن اسلحة ووحدات تدريب عسكرية خاصة ووفودا من المسؤولين السابقين لدعم الرئيسة تساي انغ وين، التي تعتبرها بكين مؤيدة للاستقلال على نحو خطير. ثم تصاعدت حدة التوتر الى اعلى مستوياتها بعد غزو روسيا لاوكرانيا.

تعد تايوان حقل الغام جيوسياسيا، مع عزم الصين على اعادة ما تعتبرها منطقة منشقة الى الوطن الام.

كثفت الصين تدريباتها العسكرية وزادت حدة خطابها تجاه تايوان منذ غزو روسيا لاوكرانيا.

في الواقع، اثار الغزو الروسي لاوكرانيا المخاوف من غزو صيني وشيك لتايوان. هذا ما حذر منه قادة عسكريون اميركيون في منطقة المحيطين الهندي والهادئ. في الاونة الاخيرة، يبدو ان التوترات تفاقمت بين الولايات المتحدة والصين. وفي تطور لافت، قدم عضوان في مجلس الشيوخ الاميركي اخيرا "مشروع قانون لتعزيز الدعم لتايوان لعام 2022" بشكل كبير، مع تقديم مليارات الدولارات في شكل مساعدات امنية وادخال تغييرات على القانون تدعم العلاقات غير الرسمية لواشنطن مع الجزيرة. ويهدد القانون لعام 2022 بفرض عقوبات شديدة على الصين عند شنها اي عدوان على تايوان. مشروع القانون يبعث رسالة واضحة مفادها انه لا ينبغي للصين ان ترتكب الاخطاء التي ارتكبتها روسيا في غزوها لاوكرانيا.

في هذه الاثناء، بينما اثار الرئيس الاميركي دهشة الصين وغضبها الشهر الماضي بقوله ان بلاده ستتدخل عسكريا اذا تعرضت تايوان لهجوم، اتهم وزير الدفاع الاميركي لويد اوستن بكين بالتهديد بتغيير الوضع الراهن في تايوان من خلال زيادة مطردة في النشاطات العسكرية الاستفزازية والمزعزعة للاستقرار بالقرب من الجزيرة. في المقابل، هاجم وزير الدفاع الصيني وي فنغهي واشنطن واتهمها بمواصلة اللعب بورقة تايوان ضد الصين. اضاف ان تايوان هي تايوان الصينية، واستخدام تايوان لاحتواء الصين لن يفلح ابدا. واذا تجرأ اي شخص على فصل تايوان عن الصين، لن يتردد الجيش الصيني بالتأكيد في بدء حرب مهما كان الثمن.

من الملاحظ ان الصين كثفت تدريباتها العسكرية وزادت حدة خطابها تجاه تايوان منذ غزو روسيا لاوكرانيا، مما زاد المخاوف العالمية من ان سلطات بكين قد تشعر بالجرأة لغزو الجزيرة، التي تدعي السيطرة التاريخية عليها. ويرى خبراء ان جزر المحيط الهادئ تتسم بأهمية محورية لاستراتيجيا الصين الديبلوماسية لضم تايوان، ذلك انه يمكن استخدام قاعدة بحرية صينية المتفق عليها في جزر سليمان لاعتراض التعزيزات العسكرية لتايوان.

النفوذ الصيني المتزايد في المحيط الهادئ يبدل ميزان القوى ويضع تايوان وحلفاءها في موقف صعب. انه سيعطي السفن الصينية موطئ قدم استراتيجي في المحيط الهادئ، ومعه تبدو كل من اوستراليا ونيوزيلندا والولايات المتحدة محاصرة بشكل خاص، لأن الاتفاق المبرم مع جزر سليمان قد يسمح للصين بانشاء قاعدة عسكرية على بعد 2000 كيلومتر فقط من ساحل اوستراليا الشرقي، ذلك ان الاتفاقية تتيح للصين زيارات للسفن وتنفيذ التجديد اللوجستي والتوقف والانتقال في جزر سليمان. مع التذكير بأن معقل القوة الاميركية في حوض المحيط الهادئ، تقع جزر غوام على بعد نحو 3200 كيلومتر شمال جزر سليمان.

تعد تايوان حقل الغام جيوسياسيا، مع عزم الصين على اعادة ما تعتبرها منطقة منشقة الى الوطن الام. وتاريخيا، كانت جزيرة تايوان (او فورموزا ـ وعاصمتها تايبيه) مقاطعة صينية لمدة 10 سنوات فقط، قبل التنازل عنها لليابان كمستعمرة عام 1895، ثم تسليمها لاحقا الى جمهورية الصين الوطنية في نهاية الحرب العالمية الثانية. غير ان تايوان انفصلت مجددا عن البر الصيني عام 1949 عندما نقل رئيس الصين الوطنية (يومذاك) تشيانغ كاي شيك حكومته الى الجزيرة بعدما انتصر الشيوعيون بقيادة ماو تسي تونغ في الصراع على السلطة في الصين. منذ ذلك الحين، اسست تايبيه صلات قوية مع الولايات المتحدة واليابان وحلفاء اخرين، وسعت الى تعزيز قدرة قواتها المسلحة على مقاومة اي غزو صيني محتم.

وعلى الرغم من الافتقار الى علاقات رسمية بينهما، حافظت واشنطن منذ فترة طويلة على علاقات جيدة مع تايبيه، وهي تتصدر تاريخيا مزودي تايوان الاسلحة. ايضا، تنتهج واشنطن سياسة الغموض الاستراتيجي بازاء مدى ما يمكنها فعله للدفاع عن تايوان في مواجهة الغزو الصيني.

في المقابل، تعتمد الصين مواقف سياسية وعسكرية متشددة داخل منطقة حوض المحيط الهادئ التي تتميز بقدر كبير من الاهمية الاستراتيجية. ومن جنوب المحيط الهادئ الى غربه، تعمل سلطات بكين على تعزيز نفوذها في المنطقة، وقد شهدت الفترة الاخيرة عددا من الاحداث التي كشفت بوضوح ملامح الاستراتيجيا الصينية الرامية لجعل حوض المحيط الهادئ جزءا من فنائها الخلفي.